

خطبة بعنوان: عوامل بناء الدولة في الإسلام

بتاريخ: ١٢ ذو القعدة ١٤٣٨هـ - ٤ أغسطس ٢٠١٧م

عناصر الخطبة:

العامل الأول: العمل واستثمار الطاقات المعطلة مع تقديم الكفاءات

العامل الثاني: نشر العلم والوعي الثقافي بين أفراد الأمة

العامل الثالث: إقامة العدل والمساواة بين أفراد الأمة

العامل الرابع: الرحمة والشفقة على الرعية

العامل الخامس: غرس مكارم الأخلاق في نفوس أفراد المجتمع

العامل السادس: التنشئة الأسرية السوية

العامل السابع: مواجهة الدعوات الهدامة وتطهير العقول من الأفكار المتطرفة

العامل الثامن: الوحدة والاجتماع

العامل التاسع: التضحية من أجل الوطن

أما بعد:

المقدمة:

عباد الله: لقد خلق الله الإنسان وكرمه وفضله على سائر الكائنات وأمره بعمارة الأرض وإقامة شرعة الله فيها؛ وهذا الأمر يتطلب عدة عوامل لإقامة الدولة القوية الرشيدة المتينة المتقدمة في جميع مجالات الحياة؛ وهذه العوامل تتمثل فيما يلي:

العامل الأول: العمل واستثمار الطاقات المعطلة مع تقديم الكفاءات

فالعامل والاستثمار أساس بناء الأمم؛ لذلك حث الإسلام على السعي والاستثمار والكسب من أجل الرزق وبناء الدول؛ قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (الملك: ١٥)؛ ويقرر الإسلام أن حياة الإيمان بدون عمل واستثمار هي عقيم كحياة شجر بلا ثمر، فهي حياة تثير المقت الكبير لدي واهب الحياة الذي يريد لها خصبة منتجة كثيرة الثمرات.

فيجب على المسلم أن يكون وحدة إنتاجية طاملاً هو على قيد الحياة، ما دام قادراً على العمل، بل إن قيام الساعة لا ينبغي أن يحول بينه وبين القيام بعمل منتج، وفي ذلك يدفعنا النبي صلى الله عليه وسلم دفعاً إلى حقل العمل والاستثمار وعدم الركود والكسل فيقول: " إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر " [أحمد والبخاري في الأدب المفرد]، كما حث الإسلام على اتخاذ المهنة للكسب مهما كانت دنيئة فهي خير من المسألة، فعن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ فَيَسْتَعْنِي بِهِ عَنِ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنَّ يَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنْ يَدِ السُّفْلَى وَإِنْدَاءُ بَمَنْ تَعُولُ " (الترمذي وحسنه).

لذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهتم بالعمل والاستثمار والترغيب فيه فيقول: ما من موضع يأتي الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري، وكان إذا رأي فتى أعجبه حاله سأل عنه: هل له من حرفة؟ فإن قيل: لا. سقط من عينيه. وكان إذا مدح بحضرته أحد سأل عنه: هل له من عمل؟ فإن قيل: نعم. قال: إنه يستحق المدح. وإن قالوا: لا. قال: ليس بذاك. وكان يوصي الفقراء والأغنياء معاً بأن يتعلموا المهنة ويقول تبريراً لذلك: يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة، وإن كان من

الأغنياء. وكان كلما مر برجل جالس في الشارع أمام بيته لا عمل له أخذه وضربه بالدرة وساقه إلى العمل والاستثمار وهو يقول: إن الله يكره الرجل الفارغ لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة. (إحياء علوم الدين - الإمام أبو حامد الغزالي).

عباد الله: إن القلب ليحزن حينما يري الشباب وهم في أعز قواهم العقلية والجسدية ومع ذلك يفني الشباب قوته وشبابه في الفراغ وفي كل ما حرم الله تبارك وتعالى من ملاهٍ ومشاربٍ وخمورٍ ومجونٍ وغير ذلك؛ ولو لم يكن الإنسان في حاجة إلى للعمل، لا هو ولا أسرته، لكان عليه أن يعمل للمجتمع الذي يعيش فيه فإن المجتمع يعطيه، فلا بد أن يأخذ منه، على قدر ما عنده.

يُروى أن رجلاً مر على أبي الدرداء الصحابي الزاهد - رضي الله عنه - فوجده يغرس جوزة، وهو في شيخوخته وهرمه، فقال له: أتغرس هذه الجوزة وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر إلا بعد كذا وكذا عاماً؟! فقال أبو الدرداء: وما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري!! وأكثر من ذلك أن المسلم لا يعمل لنفع المجتمع الإنساني فحسب، بل يعمل لنفع الأحياء، حتى الحيوان والطير، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ " [البخاري]، وبذلك يعم الرخاء ليشمل البلاد والعباد والطيور والدواب.

إذن فالإسلام قد حث على العمل والكسب والاحتراف والاستثمار، وأن الأمة الإسلامية غنية بما وهبها الله من موارد وطاقات وأن هذه الموارد وتلك الطاقات ، لو استغلت استغلالاً صحيحاً في حدود القيم والأخلاق وفي حدود التخطيط السديد لأصبحت من أغنياء العالم ، فتقدمها ونمائها وازدهارها مصحوب بالقيم الأخلاق أولاً، وبالجد والسعي والعمل ثانياً ، فهذان ميزانان بهما ترقى الأمة وتتقدم. وبانعدامهما تتخلف وتصاب بانحطاط مادي وخلقي وكفي بالواقع المعاصر على ذلك شهيداً.

ويجب على العامل أن يراقب الله في جميع أعماله وأحواله وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته؛ لأن الله أقرب إليك من جبل الوريد ؛ قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسٍ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } (ق: ١٦).

" قال ابن الجوزي - رحمه الله -: الحق عز وجل - أقرب إلى عبده من جبل الوريد. لكنّه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له. فقلوب الجهّال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا. والمتيقظون علموا قربه فحضرهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط " (صيد الخاطر).

فيا أيها العامل، إن عينَ الله تلاحقك أين ما ذهبت، وفي أي مكان حللت، في ظلام الليل، وراء الجدران، في الخلوات في الفلوات، ولو كنت في داخلِ صخورٍ صم، هل علمت ذلك، واستشعرت ذلك فاتقيت الله ظاهراً وباطناً، فكانَ باطنك خيرٌ من ظاهرك.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل..... خلوتُ ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً..... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

كما يجب تقديم الكفاءات في العمل إذا كنا نريد النهوض ببلدنا ومصرنا ؛ فمصر بما عدد لا بأس به من المواهب والقدرات؛ وأن جميع دول العالم تستعين بالخبرات المصرية في جميع مجالات الحياة؛ ومن الملاحظ أن العلماء البارعين في علوم الذرة والعلوم الكونية والهندسية والطبية دائماً يقيمون في بلاد الخارج؛ لأنهم يجدون تقديراً مادياً ومعنوياً في البلاد التي يقيمون بها؛ فكيف نهمشهم ولا نقدرهم ونطالب ببناء دولة وأمة!!!؟

لذلك شدد صلى الله عليه وسلم في أمر تقديم الكفاءات أيما تشديد؛ فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَبِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ» (الحاكم وصححه)؛ وَقَالَ أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ، حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ " (أحمد والحاكم).

العامل الثاني: نشر العلم والوعي الثقافي بين أفراد الأمة

فقد اهتم الإسلام بقيمة العلم أيما اهتمام، ولقد بلغت عناية الله - عز وجل - بنا لرفع الجهل عنا أن كان أول ما نزل من الوحي على نبينا أعظم كلمة هبط بها جبريل هي قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (العلق: ١) ؛ وأمر الله عز وجل بالقراءة والعلم في أول آية نزلت من القرآن دليل واضح على أهمية العلم في تكوين عقل الإنسان وفي رفعه إلى المكانة السامية، فلا يستوي عند الله الذي يعلم والذي لا يعلم، فأهل العلم لهم مقام عظيم في شريعتنا الغراء، فهم من ورثة الأنبياء والمرسلين، يقول الله تبارك وتعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (الزمر: ٩) ، فلا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم، كما لا يستوي الحي والميت، والسميع والأصم، والبصير والأعمى، فالعلم نور يهتدي به صاحبه إلى الطريق السوي، ويخرج به من الظلمات إلى النور.؛ ويرفع الله الذي يطلب العلم والذي يعمل به كما يشاء، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة: ١١).

إن العلم أساس نهضة الأمة وقيام الحضارات؛ فبالعلم تبنى الأجداد، وتُسود الشعوب، وتبنى الممالك، بل لا يستطيع المسلم أن يحقق العبودية الخالصة لله تعالى على وفق شرعه، فضلاً عن أن يبني نفسه كما أراد الله سبحانه أو يقدم لمجتمعه خيراً، أو لأمتة عزاً ومجداً ونصراً - إلا بالعلم؛ وما فشا الجهل في أمة من الأمم إلا قوض أركانها، وصدع بنيانها، وأوقعها في الرذائل والمتاهات المهلكة.

وكما قيل: العلم يبني بيوتا لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم

ويبلغ من فضل العلم أنه يرفع قدر أناس ليس لهم حسب ولا نسب فوق كثير من الأكابر؛ فقد روى أن نافع بن عبد الحارث أمير مكة خرج واستقبل عمر بن الخطاب بعسفان، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبنى، فقال عمر: ومن ابن أبنى؟! فقال: رجل من مواليها، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين".

أحبتني في الله: إن من عومل النهوض بالأمة في المجال العلمي أن نهتم بالمعلم والمربي وأن نشكر جهوده، ونؤدي إليه بعضاً من حقه، وأن نعرف له قدره واحترامه وفضله.

إِنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّيِّبَ كِلَيْهِمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا

فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ أَهَنْتَ طَبِيبَهُ وَاصْبِرْ لِيَجْهَلَكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

إن نهضة الأمة منوط بتربية أجيال على علم وتحمل المسؤولية؛ وما احتلت موازين الأمة، وفسد أبنائها إلا حينما ضاع الأبناء بين أبٍ مفرط لا يعلم عن حال أبنائه، ولا في أي مرحلة يدرسون، ولا مع من يذهبون ويجالسون، ولا عن مستواهم التحصيلي في الدراسة - وبين مدرس خان الأمانة، وتهاون في واجبه، ولم يدرك مسؤوليته؛ فدور الأسرة عظيم في غرس هذه القيم في نفوس أبنائها فهم مسئولون عنهم يوم القيامة!!

العامل الثالث: إقامة العدل والمساواة بين أفراد الأمة

أيها المسلمون: إن الله أقام السماوات والأرض على العدل والمساواة؛ وهي مبادئ أصيلة في الإسلام؛ فالناس في الإسلام سواسية، ولا تفاضل بينهم، فكلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فرق بين رجل وامرأة، الغني والفقير سواء في القيمة الإنسانية، فلا تفاضل بين الناس في هذه الناحية إلا بالعمل الصالح والكفاءات الممتازة، وبما يقدمه كل فرد لربه، ولإخوانه ووطنه.

فَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". (أحمد والبيهقي وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح).

ويبيننا التاريخ الإسلامي أن تلك القواعد السمحة القوية حول العدل والمساواة أمام القضاء كانت منقذةً بحذافيرها أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين، فيروى أن أسامة بن زيد، وهو من أحب الصحابة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ليشفع في فاطمة بنت الأسود المخزومية، وكان قد حكم عليها بحد السرقة؛ حيث إنهما سرقتا قطيفة وحلياً، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنكر موقفه هذا - على الرغم من حبه له - ولم تشفع له منزلته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال له - صلى الله عليه وسلم - : ((تشفع في حد من حدود الله؟!))، ثم قام فخطب الناس، وقال: ((أيها الناس، إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها!!)) (متفق عليه).

ولقد شكوا يهودي علياً - رضي الله عنه - إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافة عمر، فلما مثلاً بين يديه، خاطب عمر اليهودي باسمه، ولكنه خاطب علياً بكُنْيَتِهِ، فقال له: "يا أبا الحسن" - حسب عاداته في خطابه معه - فظهرت آثار الغضب على وجه علي، فقال له عمر: "أكرهت أن يكون خصمك يهودياً، وتمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة؟"، فقال علي: "لا، ولكنني غضبت؛ لأنك لم تسو بيني وبينه، بل فضلتني عليه؛ إذ خاطبته باسمه، بينما خاطبني بكنتي!"

وهذا عمر - رضي الله عنه - وقف ذات يوم يخطب في الناس فما كاد يقول: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا. حتى قاطعه أحدهم قائلاً: لا سمع ولا طاعة يا عمر، فقال عمر بهدوء: لم يا عبد الله؟ قال: لأن كلاً منا أصابه قميص واحد من القماش لستر عورته وعليك حلة. فقال له عمر: مكانك، ثم نادى ولده عبد الله بن عمر، فشرح عبد الله أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه، لأن عمر طويل ولم يكفه نصيبه، فافتنع الصحابة وقال الرجل في احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين!! (مناقب عمر لابن الجوزي؛ وعميون الأخبار لابن قتيبة).

وهكذا من الناحيتين (الإنسانية العامة) و(القضائية) تتجلى المساواة ويتجلى العدل في توزيع الثروات والدخول، فلا فضل إلا بالعمل الصالح في الدنيا والآخرة، وأديانهم وأحسابهم موكولة إلى الله يوم القيامة، أما في هذه الدنيا، فالشريعة تقوم على العدل والمساواة بين الناس جميعاً؛ فلا إقامة لدولة يندثر فيها قيم العدل والمساواة؛ وينتشر فيها الجور والظلم والمحاباة!!

العامل الرابع: الرحمة والشفقة على الرعية

فالرحمة والشفقة بالرعية من أهم معايير بناء الدول والأمم؛ لذلك كان عمر رضي الله عنه يُشدّد على ضرورة اتصاف الوالي بالرحمة واللين، ومن كان غير مُتَّصِفٍ بذلك فإنه ينزع الولاية منه؛ فقد أمر بكتابة عهد لرجل قد اختبره وأراد أن يُعيَّنه، وبينما الكاتب يكتب، جاءه صبي، فجلس في حجر عمر فلاطفه، فقال الرجل: "يا أمير المؤمنين، لي عشرة أولاد مثله، ما دنا أحد منهم مني. قال عمر: فما ذنبي إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. ثم قال: مَرَّقَ الكتاب؛ فإنه إذا لم يرحم أولاده، فكيف يرحم الرعية؟!" (تاريخ عمر؛ لابن الجوزي).

لذلك قال عمر رضوان الله عليه: والله لقد لان قلبي حتى هو ألين من الزيد، ولقد اشتد قلبي حتى هو أشد من الحجر. وقد استمد عمر رضي الله عنه هذا المبدأ الأصيل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ؛ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ" (مسلم).

العامل الخامس: غرس مكارم الأخلاق في نفوس أفراد المجتمع

عباد الله: إن للأخلاق أهمية كبرى في الإسلام، فالخلق من الدين كالروح من الجسد، والإسلام بلا خلق جسد بلا روح، فالخلق هو كلُّ شيء، فقوام الأمم والدول والحضارات بالأخلاق وضياعها بفقدانها لأخلاقها، قال الشاعر أحمد شوقي:

إنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال: وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتِمًا وَعَوِيلاً

وقال: صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلَاقِ مَرَجِعُهُ فَقَوْمَ النَّفْسِ بِالأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ

ولأهمية الأخلاق أصبحت شعاراً للدين (الدين المعاملة) فلم يكن الدين صلاة ولا زكاة ولا صوم فحسب.

قال الفيروز آبادي -رحمه الله تعالى-: "اعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق؛ زاد عليك في الدين".

وهكذا تظهر أهمية الأخلاق ومكانتها في الرسالة المحمدية حتى أصبحت شعاراً للدين تمثله كله.

أيها المسلمون: إن العامل الأكبر في بناء الحضارات وانتشار الإسلام في عصر النبي والصحابة والسلف الصالح إنما هو مكارم الأخلاق الكريمة التي لمسها المدعون في هذا الجيل الفذ من المسلمين، سواء كانت هذه الأخلاق في مجال التجارة من البيع والشراء، مثل الصدق والأمانة؛ أو في مجال الحروب والمعارك، وفي عرض الإسلام عليهم وتخييرهم بين الإسلام أو الجزية أو المعركة، أو في حسن معاملة الأسرى، أو عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان، هذه الأخلاق دفعت هؤلاء الناس يفكرون في هذا الدين الجديد الذي يحمله هؤلاء، وغالبًا كان ينتهي بهم المطاف إلى الدخول في هذا الدين وحب تعاليمه، ومؤاخاة المسلمين الفاتحين في الدين والعقيدة!!

هذه الأخلاق أثارت إعجاب الباحث الفرنسي كليمان هوارت حيث يقول: "لم يكن محمدٌ نبياً عادياً، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه... نبي ليس عادياً من يقسم أنه "لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها"! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في مكارم الأخلاق لأصبح العالم مسلماً" فعلياً أن نتحلى بحسن الخلق وبسط الوجه وحب الآخرين؛ وما أجمل قول ابن حبان: "الواجب على العاقل أن يتحجب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، وترك سوء الخلق، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الحديد، وإن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها، وخلق سيء، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها".

أيها المسلمون: إننا في حاجة إلى أن نقف وقفة مع أنفسنا وأولادنا وأهلينا في غرس مكارم الأخلاق والتحلي بها؛ نحتاج إلى نولد من جديد بالأخلاق الفاضلة؛ نحتاج إلى تغيير ما في أنفسنا من غل وحقد وكره وبخل وشح وظلم وقهر ودفن للقدرات والمواهب إلى حب وتعاون وإيثار وعدل ومساواة ورفع الكفاءات؛ إذا كنا نريد حضارة ومجتمع وبناء دولة!!! فهل لذلك أذن واعية!!؟

العامل السادس: التنشئة الأسرية السوية

فالمجتمع عبارة عن أسر؛ فلو أن كل واحد منا أنشأ أسرة سوية متينة فمن مجموع هذه الأسر نبي دولة وأمة ومجتمعاً قوياً متماسكاً.

عباد الله: إن للأسرة دوراً كبيراً في رعاية الأولاد - منذ ولادتهم - وفي تشكيل أخلاقهم وسلوكهم، وما أجمل عبارة: "إن وراء كل رجل عظيم أبوين مربيين"، وكما يقول بعض أساتذة علم النفس: "أعطينا السنوات السبع الأولى للأبناء نعتيكم التشكيل الذي سيكون عليه الأبناء". وكما قيل: "الرجال لا يولدون بل يُصنعون".

ولقد فطن الغرب إلى أهمية الأسرة في بناء المجتمع والأمم والدول والحضارات، واعتبروا هدم الأسرة هدماً للحضارة كلها.

يقول أحد المستشرقين: إذا أردت أن تهدم حضارة أمة فهناك وسائل ثلاث هي:

١- اهدم الأسرة..... ٢- اهدم التعليم..... ٣- أسقط القدوات.

* لكي تهدم الأسرة: عليك بتغييب دور (الأم) اجعلها تحجل من وصفها بـ"ربة بيت"

* ولكي تهدم التعليم: عليك بـ (المعلم) لا تجعل له أهمية في المجتمع وقلل من مكانته حتى يحتقره طلابه.

* ولكي تسقط القدوات: عليك بـ (العلماء والآباء) اطعن فيهم قلل من شأنهم، شكك فيهم حتى لا يسمع لهم ولا يقتدي بهم أحد.

فإذا اختفت (الأم الواعية)، واختفى (المعلم والأب المخلص)، وسقطت (القدوة)؛ فمن يربي النشء على القيم؟!!

إذن تبدأ المسؤولية والأهمية من الأسرة، فالأسرة التي تربي أبناءها وتنمي قدراتهم وتغرس في نفوسهم حب الخير وحب الناس وحب العمل وحب الوطن والتمسك بالأخلاق والشمائل الإسلامية، والدفاع عن الوطن من الأعداء والحاسدين، إنما هي تقوم ببناء المجتمع.. أما تلك الأسرة التي لا تهتم بأبنائها وتترك لهم الحبل على الغارب ولا تنشئهم تنشئة اجتماعية سليمة، إنما هي تهدم المجتمع.

العامل السابع: مواجهة الدعوات الهدامة وتطهير العقول من الأفكار المتطرفة

فمن أهم وسائل بناء الدولة مواجهة الإرهاب وتطهير عقول الشباب من الأفكار المتطرفة؛ لأنَّ الناس لو استقامت عقولهم، صاروا يُفكِّرون فيما ينفعهم ويتعدون عمَّا يضرُّهم، إذًا هناك علاقة كبيرة بين المحافظة على عقول الناس وبين استقرار الأمن عندهم؛ لأنَّ مما يذهب بأمن الناس انتشار المفاهيم الخاطئة حيال نصوص القرآن والسنة، وعدم فهمهما بفهم السلف الصالح، وهل كُفِّر الناس وأريقَت الدماء وقُتِل الأبرياء وحُفِرَت الدماء بقتل المستأمنين وفُجِّرَت البقاع إلا بهذه المفاهيم المنكوسة؟!!

فعلينا أن نحافظ على أولادنا من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانجراف في الفكر التكفيرى المنحرف، ونقول للغلاة أهل الغلظة والجفاء، متبعي الأخطاء المستهزئين بالعلماء، الخارجين على إجماع الأمة، نقول لكل مشترك في هذه الجرائم البشعة سواء يجلب هذه المتفجرات أو الإعانة على نقلها أو التواطؤ في تحريبها أو السكوت على أصحابها: توبوا إلى الله توبة نصوحًا، واعترفوا بأخطائكم، وعودوا إلى رشدكم، اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في دماء المسلمين، اتقوا الله في الأبرياء، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، وفي ذمكم دماء لأرواح بريئة، فماذا أنتم قائلون؟! وما هي حججتكم إذا وقفتم حافية أقدامكم؛ عارية أجسامكم؛ شاخصة أبصاركم؛ بين يدي الله أحكم الحاكمين؟!!

يا شباب الإسلام: إياكم وهذه الدعوات الخطيرة التي تدعو إلى التكفير والتفجير، واعلموا أن من أعظم الواجبات الرجوع لأهل العلم الموثوق بعلمهم فيما يُشكل عليكم لأن الله جعلهم هداة مهتدين؛ ونسأل الله أن يجتث هذه الأفكار الدخيلة من بيننا!!

العامل الثامن: الوحدة والاجتماع

فوحدة الصف ووحدة الأمة عامل قوي وفعال في بناء الدولة؛ فعلينا أن نتحرر من الفرقة والتشاحن والتباغض والتقاتل والتحزب بالصلح والمصافحة والمصالحة.. والتنازل والمحبة.. والأخوة حتى تعود المياه إلى مجاريها.. يجب علينا أن نكون صفاً واحداً متلاحماً كالبنيان المرصوص مع ولاة أمرنا وعلمائنا في استتباب الأمن والقضاء على هذه الظواهر المفزعة والأحداث المفجعة واستتصال شأفتها، يجب أن نكون جميعاً يدًا واحدة عيَّنًا ساهرةً مع رجال الأمن للحفاظ على ديننا وبلادنا وأمننا، ومنهجنا منهج الوسطية والاعتدال، ونصيحتي للشباب وفلذات الأكبَاد ألا ينخدعوا بالأفكار الهدامة، والمناهج الضالة، وألا ينساقوا وراء حرب الشبهات التي يروجها من قَلَّ قَهْمُهُ، وضل سَعْيُهُ.

إنني أدعو جميع أطراف المجتمع إلى الاجتماع والاعتصام والوحدة، فالاجتماع والاتفاق سبيل إلى القوة والنصر، والتفرق والاختلاف طريق إلى الضعف والهزيمة، وما ارتفعت أمة من الأمم وعلت رايثها إلا بالوحدة والتلاحم بين أفرادها، وتوحيد جهودها، والتاريخ أعظم شاهد على ذلك، ولذا جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- تدعو إلى هذا المبدأ العظيم، وتحذر من الاختلاف والتنازع ومنها قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (الأنفال: ٤٦)، وفي حديث أبي مسعود: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: استنوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم" (رواه مسلم).

العامل التاسع: التضحية من أجل الوطن:

وهذا من أهم عوامل بناء الدولة؛ أن يضحي كل فرد في المجتمع بحسب عمله ومسئوليته؛ فيضحي الطبيب من أجل حياة المريض؛ ويضحي المعلم من أجل تعليم وتنشئة الأبناء؛ ويضحي المهندس من أجل عمارة الوطن؛ ويضحي القاضي من أجل إقامة وتحقيق العدل؛ ويضحي الداعية من أجل نشر الوعي والفكر الصحيح بين أفراد المجتمع وتصحيح المفاهيم المغلوطة والأفكار المنحرفة؛ وتضحي الدولة من أجل كفالة الشعب ورعايته؛ ويضحي الأب من أجل معيشة كريمة لأولاده؛ ويضحي الجندي من أجل الدفاع عن وطنه؛ ويضحي العامل من أجل إتقان عمله؛ وتضحي الأم من أجل تربية أولادها... إلخ.... إننا فعلنا ذلك فإننا ننشد مجتمعاً فاضلاً متعاوناً متكافلاً تسوده روابط المحبة والإخلاص والبر والإحسان وجميع القيم الفاضلة.

أيها المسلمون: وقبل أن أختتم هذا اللقاء أذكركم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة ولم يكن هناك دولة؛ فأقام دولته في المدينة على ثلاثة أسس رئيسة؛ الأساس الأول: المسجد؛ والأساس الثاني: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ والأساس الثالث: المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين !!

وهنا وقفة: لماذا ركز النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأسس الثلاث مع أن في الإسلام أسساً غيرها كثيرة !!!؟ والجواب: أن هذه الأسس الثلاث هي أساس بناء الدول؛ وربطاً للصلة من جوانبها الثلاثة: فالمسجد ليربط صلة وعلاقة العبد بربه، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتربط علاقة المسلم بأخيه المسلم؛ والمعاهدات بين المسلمين وغيرهم لتربط علاقة المسلم بالمسلم.

فإذا كانت علاقة المسلم بربه قوية وإيمانه عميق وذلك من خلال المسجد؛ وكانت علاقة المسلم بأخيه المسلم قائمة على التعاون والإيثار والمحبة والتشارك؛ وكانت علاقة المسلم بغير المسلم قائمة على التعايش السلمي والتسامح؛ فلا شك أننا نبني وطناً قوياً متماسكاً الأركان والبنيان؛ يشد بعضه بعضاً؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى!! ولهذا الأسباب كان تركيز النبي -صلى الله عليه وسلم- على هذه الأسس الثلاثة في بناء الدولة الإسلامية!! والناظر إلى العوامل التسع سألته الذكر يجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جمعها في هذه الأسس الثلاث؛ فمنها تنفرع وإليها ترجع وتعود!!

نسأل الله بمنه وكرمه أن يديم علينا نعمه، وأن يعز هذه البلاد ويجعلها آمنة مطمئنة سحاً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، وأن يهتك ستر المعتدين على حرمت الآمنين، وأن يكف البأس عنا وعن جميع المسلمين، إنه خير مسئول، وأقرب مجيب؛

الدعاء،،،،، وأقم الصلاة،،،،،

كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

د / خالد بدير بدوي